في طي النسيان

نشوان زيد علي عنتر

النبراس
للطباعة و النشر

في طي النسيان

(مقالات)

بقلم :

نشوان زيد علي عنتر

٢٠١٥م

عدنان مندريس

البطل المجهول

قد يرى القارئ العنوان غريبا بعض الشيء يصعب إستيعابه ، فمن غير المعقول أن يتم تخصيص سيرة مستفيضة لبطل مجهول دون معرفة بياناته الشخصية حتى ، و كذلك لا يوجد بطل خدم بلده و شعبه بإخلاص و تفان و يكون جزاؤه جزاء سنمار من قبلهما ، لكن هذا حدث فعلا و لاسيما في تركيا حيث لايزال رئيس الوزراء الراحل عدنان مندريس يهان و يساء ذكره و مكانته على المستويين الرسمي و الأكاديمي و أحيانا الشعبي دون إعتبار لما قدمه لهذا البلد من خدمات جليلة في حقلي السياسة و الإقتصاد تحت النظام الجمهوري الذي حل محل سلفه السلطاني العثماني عام ١٩٢٣م .

لم يصدق سكان مدينة أيدين و هي واحدة من المدن الصغيرة الواقعة جنوب أزمير في إقليم بحر إيجة أن الطفل الذي ولد عندهم بتاريخ سبتمبر عام ١٨٩٩م سيصبح من أهم الشخصيات البارزة في السياسة التركية الحديثة و مدينتهم ستتحول إلى واحدة من أهم المدن الرئيسية في تركيا بعد وفاته .

إسمه الحقيقي علي عدنان مندريس و هو كما يشاع إبن لأسرة كردية الأصل تنتمي إلى الطبقة المتوسطة ، علوي المذهب ، أكمل الدراسة الجامعية في إسطنبول بعد إشتراكه

كجندي إحتياط في الجيش العثماني هناك خلال الحرب العالمية الأولى و ينال فيها ليسانس الحقوق عام ١٩٢٢م ، ثم إنضمامه إلى صفوف المقاومة ضد قوات الإحتلال اليوناني عام ١٩٢٣م و بعد ذلك إلى حزب الشعب الجمهوري الذي تأسس على يد مصطفى كمال أتاتورك عام ١٩٢٥م كأحد الأحزاب السياسية الأربعة الحديثة (الحزب الوطني الحر ، حزب الإخاء ، الحزب التقدمي) دون أن نستثني الأحزاب الشيوعية و الإسلامية و العرقية التي نشأت منذ وقت مبكر و تعرضت إلى القمع السياسي من قبل السلطات الرسمية سواء في العهدين السلطاني و الجمهوري قبل أن يحلهم جميعا على إثر محاولة إغتياله عام ١٩٢٦م ، لتبدأ على إثرها سياسة و فترة حكم الفرد الواحد و الحزب الواحد منذ تلك اللحظة مما جعل صاحب الترجمة يعيد النظر و التفكير في معتقداته و آرائه السياسية و الأيدولوجية حيال حزبه و زعيمه مؤسس الجمهورية التركية عام ١٩٢٣م حيث رأى أن الإصلاحات و السياسات التي قام بها الأخير مخالفة لروح العلمانية و مبادئها التي يعتنقها صاحب الترجمة و عدها تغريبا واضحا يهدف إلى إقتلاع المجتمع التركي من جذوره الشرقية إلى الأبد و لاسيما أن حكم الرئيسين مصطفي كمال أتاتورك (١٩٢٣-١٩٣٨م) و عصمت إينونو (١٩٣٨-١٩٥٠م) إتسمتا حينها بالديكتاتورية الفردية بالتزامن مع حكم حزب وحيد لا ند له يقارعه على الساحة السياسية في البلاد ليفرضا أفكارهما الخاصة التغريبية على المجتمع بكافة فئاته و ليحول الأول تركيا على حد تعبير الأديبة التركية الشهيرة خالدة أديب (٠٠٠ - ١٩٦٧م) من البلد الأول في الشرق إلى البلد الأخير في الغرب و لكن من ناحية الشكل لا الجوهر حيث لا ننسى أن تركيا

بالأساس هي ما تبقى من الإمبراطورية العثمانية المتعددة الأعراق و الأديان و اللغات لتختزل في الأخير على هيئة دولة صغيرة مساحتها أصغر من نظيرتها و مستعمرتها السابقة اليمن ، موزعة بين قارتي أسيا و أوروبا و تتبنى قومية وهمية كنظيرتها العربية إسمها القومية التركية .

فجاهر بآرائه الفكرية المنددة بهذا النظام تحت قبة البرلمان و ليتعرض و زملائه للقمع و الإضطهاد من قبل السلطات الرسمية دون أن يثنيه ذلك عن مراده المنشود ، فينشقوا عن الحزب الحاكم و يؤسسوا الحزب الديمقراطي الذي قاد من خلاله الثورة الديمقراطية السلمية عام ١٩٤٦م حيث نجحت في إجبار الرئيس عصمت أينونو على الإنصياع لمطالبها المتمثلة بالتعددية الحزبية و حرية الرأي و التعبير عن المعتقدات الشخصية للفرد و إنتخاب رئيس الجمهورية لفترات زمنية محددة و الذي يجب أن يكون منصبه من وجهة نظرهم فخريا لا تنفيذيا و تصبح السلطة التنفيذية على إثر ذلك بيد رئيس الوزراء بإعتبار أن تركيا وفقا للدستور جمهورية برلمانية ، و بالفعل نجحوا في مساعيهم بعد فوزهم بالأغلبية المطلقة في أول انتخابات برلمانية و رئاسية حرة تشهدها البلاد منذ تأسيس الجمهورية العام ١٩٥٠م حيث أوصلت زعيمه عدنان مندريس إلى سدة الحكم و رفيق دربه جلال بايار كأول رئيس منتخب للبلاد .

بعد توليه رئاسة الوزراء بدأ بتنفيذ مشروعه الطموح الشامل الهادف إلى إصلاح النظام السياسي و الإقتصادي في البلاد و تطبيق العلمانية بشكل صحيح ، فأصبحت تركيا

جمهورية برلمانية (بمعنى أن البرلمان هو مصدر السلطات و رئيس الجمهورية يرأس و لا يحكم لأن السلطة التنفيذية بيد رئيس الوزراء) و ظهرت العديد من الأحزاب بكافة فئاتها دون أن يسمح لها بالتصريح ببرامجها و أيدولوجياتها السياسية ، فلم تظهر الأحزاب ذات الإتجاهات الإسلامية أو الشيوعية أو القومية مع العلم أنه سمح للقوميات في بلده أن تتحدث بلغاتها القومية و إرتداء أزيائها الشعبية لكن ضمن نطاقها الجغرافي المتمركزة فيه ، إلا أنه إضطهد الشيوعيين و قمعهم بشدة و حظر نشاطهم السياسي و هي من الأخطاء القاتلة التي إرتكبها خلال حكمه و تسببت بالإطاحة به في الإنقلاب العسكري عام ١٩٦٠م عبر تواطؤهم مع ضباط الجيش الكبار الذين ضاقوا ذرعا من إصلاحاته الجذرية التي طالت المؤسسة العسكرية و القضاء و المخابرات و جردت الثلاثة من إمتيازاتهم الإحتكارية كمراكز قوة لا يخضعون للمسالة القانونية و التي ورثوها من ولي نعمتهم مصطفى كمال أتاتورك و حولهم إلى مؤسسات تابعة للدولة خاضعة لسيادة النظام و القانون ، كما أن حرية النقد و التعبير كانت مكفولة و متاحة في عهده بموجب الدستور شريطة إلتزامها بالآداب العامة ، و من بين من كانوا ينتقده الناس مصطفى كمال أتاتورك بحد ذاته (قبل صدور قانون عدم نقده و تجريم إنتقاده عام ١٩٦٣م و من يخالف ذلك يعاقب بالسجن عشر سنوات و تجريده من الجنسية التركية و الذي للأسف مازال ساريا مفعوله إلى يومنا هذا) كما أن النهضة الإقتصادية شملت مجالات الحياة اليومية في تركيا ، فإرتفع دخل الفرد ثلاث أضعاف ما كان عليه في الماضي و ظهرت لأول مرة الصناعات الثقيلة كالحديد و الصلب و تجميع السيارات و السفن....... الخ .

و تزامن هذا كله مع إزدهار نشط لحركة العمران و الإنشاءات في حقول البنى التحتية و المواصلات و التي شملت حتى الشرق الفقير الذي لايزال حتى تلك اللحظة محروما من المشاريع الخدمية و التنموية (رغم جهود الحكومة الحالية في ذلك المضمار) القابع تحت رحمة نعال ضباط الجيش و الدرك (المعروفين بسمعتهم السيئة الصيت في إرتكابهم جرائم الإغتصاب و التعذيب) و الأغوات و المنظمات المسلحة الموجودة فيها و الفقر و الجوع و البطالة و سخرية الدراما التلفزيونية العنصرية نحوهم ، فضلا عن جعل بلده قوة إقليمية يحسب لها ألف حساب بعد مشاركة جيشها الحاسمة في الحرب الكورية (١٩٥٠-١٩٥٥م) و الذي جذب نظر الغرب و لاسيما أمريكا إلى هذا البلد الإسلامي و أهمية موقعه الإستراتيجي المجاور لزعيم المعسكر الشرقي الإتحاد السوفيتي سابقا مما جعلها في خطر داهم على الدوام ، مما دفع الأولى إلى وضع صواريخ نووية على أراضيها عام ١٩٥٧م في مواجهة الجار الشيوعي الشديد البأس (قبل أن يسحبوها على إثر أزمة الصواريخ الكوبية في عام ١٩٦١م) و كل هذا حدث بعد إنضمامها إلى عضوية حلف شمال الأطلسي عام ١٩٥٢م لتصبح تركيا الدولة الإسلامية الوحيدة فيها (قبل إنضمام ألبانيا عام ٢٠١٢م) و تتمتع بموجبها بإمتيازاتها المتمثلة بحق النقض الفيتو لأي قرار يصدر من الحلف و الدعم العسكري ينطبق على حركة الإستثمارات الإقتصادية ، لكن هذا جعله يستعدي جيرانه الجنوبيين العراق و سوريا و كذلك مصر و لاسيما خلال أزمة السويس أو العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦م و حشد قواته بالقرب من جارتها الغربية اليونان و الذي إنتهى بحل سلمي تمثل بإتفاقية جنيف المتعلقة بالقضية القبرصية

عام ١٩٥٩م و التي أعطت لتركيا حق التدخل العسكري في الجزيرة إذا ما إقتضى الأمر لحماية الأقلية التركية هناك .... و غيرها من الإنجازات العظيمة التي لم يشفع له حبل المشنقة الذي لفه حول رقبته أعداؤه الذين أطاحوا به و بمشروعه النهضوي التحديثي و أضحى حبيس أدراج مجلسهم مجلس الشورى العسكري لسنوات عديدة عبر محاكمته في محكمة صورية مدنية إستثنائية مخالفة للدستور و تخلو تماما من ضمانات المحاكمة العادلة في الحادي و العشرين من سبتمبر عام ١٩٦١م ، و لم يكتفوا بذلك بل قذفوا بجثته إلى نهر مندريس الذي يصب في بحر إيجة قبل أن ينتشلها ذويه منها ، و ما زاد الطين بلة تجاهل الناس لذكراه العطرة حتى بعد إنشاء مطار دولي بإسمه في مسقط رأسه أيدين على يد الحكومة عام ٢٠٠٩م ، و هذا طبيعي في هذا البلد المليء بالتناقضات و القيم المفتعلة حيث يصبح الطيب و المخلص عدوا للشعب كصاحب الترجمة و الطاغية و الخائن يصبح بطلا كالزعيم الأوحد مصطفى كمال أتاتورك الذي بات يطغى ذكره و يمحو بالقوة الجبرية كل شيء جميل فيها إلى يومنا هذا .

حسان بن بحدل

أو أول يمني تولى الخلافة الإسلامية و سمي أميرا للمؤمنين

تعتبر الخلافة الإسلامية كما ذكر المؤرخ العراقي أ.د / نزار عبد اللطيف الحديثي – أستاذ التاريخ الإسلامي في كلية الآداب بجامعة صنعاء من أهم الإنجازات الثورية التي حققها المسلمين على الصعيدين السياسي و الديني حيث نقلوا مسئولية قيادة الأمة الإسلامية من نبي مرسل من عند الله سبحانه و تعالى و مقدس بالنسبة لهم إلا و هو الرسول الكريم (ص) إلى رجل عادي من صحابته و لا يرقى إلى مكانته أبدا لكنه يلتزم بنهجه و مبادئه السامية ، إلا أن هذا الإنجاز شابه الكثير من الأخطاء خلال عمر الخلافة الذي دام ١٢٩١ عاما و التي تحولت بمرور الزمن إلى مسامير قاتلة دقت في نعشها الرفيع عام ١٩٢٤م ، و من أهم هذه المسائل التي شغلت المسلمين قرونا طويلة و أدخلتهم في معمعة صراعات فكرية و سياسية عقيمة حولها هي مسالة قرشية الخلافة و التي ظهرت أول مرة خلال النقاش الساخن المحتدم بسقيفة بني ساعدة في المدينة المنورة على إثر وفاة الرسول (ص) عام ٦٣٢م عندما رد عمر بن الخطاب رضي الله عنه على مقولة سعد بن عبادة رضي الله عنه إلى معشر المهاجرين (منكم أمير و منا أمير) بحديث نبوي يذكر في محتوياته بأن الأئمة من قريش و على أساسه يجب حصر الخلافة في بطونها و لاسيما تيم و عدي كما هو مذكور في كتاب (الشوكانية و الوهابية – تيار مستجد في الفكر العربي الحديث) لعبدالعزيز قائد المسعودي أستاذ التاريخ الحديث و المعاصر بكلية الآداب جامعة صنعاء

– ص١٨ (لكن إتضح فيما بعد أنه حديث ضعيف و سنده مشكوك فيه برأي كثير من علماء الحديث الشريف بعد ظهور وثيقة في الأرشيف العثماني عام ٢٠٠١م بخط الخليفة المتوكل محمد بن يعقوب آخر خلفاء الدولة العباسية الثانية في مصر يعلن بين سطورها تخليه عن الخلافة للسلطان العثماني سليم الأول بعد دخوله مصر عام ١٥١٦م) مما أدى إلى إندلاع حروب الردة عام ٦٣٣م و التي إنطلقت لأسباب سياسية و إقتصادية بحتة لا علاقة لها بالدين و كانت اليمن إحدى الولايات التي أعلنت التمرد على المحمدية و خليفتها الأول أبوبكر الصديق (٦٣٢-٦٤١م) على يد قيس بن عبد يغوث و التي باءت بالفشل عام ٦٣٢م دون أن يوقف اليمنيين عن سعيهم الحثيث لإلغاء هذا المبدأ الغير منصوص عليه ضمن شروط إختيار الخليفة و حقهم في تولي أحدهم هذا المنصب الرفيع في يوم من الأيام بإعتبارهم مسلمون أولا ثم عرب ثانيا ليتحقق لهم ما أ رادوه و لو مؤقتا مرتين ، الأولى في عهد حسان بن مالك بن بحدل عام ٦٨٤م و هو موضوع المقال و الثانية في عهد طالب الحق عبد الله بن يحيى الكندي (٧٤٨-٧٤٩م) قبل أن يقضي الأمويين عليها بنفس العام في عهد آخر خلفائهم مروان بن محمد (٧٤٥-٧٥٠م)، و كان حسان بن بحدل الكلبي (٦٨٤-٦٨٥م) زعيم قبيلة كلب اليمنية إحدى أكبر القبائل في سوريا و أيضا في الحلف القحطاني الذي تأسيس إثر وفاة الخليفة المحمدي معاوية الثاني الأموي (٦٨٣م) و إستيلاء جيوش خلفه المحمدي عبد الله بن الزبير (٦٨٣-٦٨٩م) لأراضي اليمن و عمان و الحجاز و العراق و مصر بعدما نجح في هزيمة جيش مسلم بن عقبة المري المحاصر لمكة عام ٦٨٣م و إعلانه نفسه خليفة للمسلمين

بعد وفاة معاوية الثاني عام ٦٨٣م و زحفها نحو الشام بتأييد و دعم من قبائلها القيسية التي كان يقود تحالفها الضحاك بن قيس الفهري .

كان حسان بن بحدل عسكريا من الطراز الأول حيث قاد جيش الخليفة المحمدي معاوية (٦٦١-٦٨٠م) ضد جيش سلفه المحمدي علي بن أبي طالب كرم الله وجهه (٦٥٦-٦٦١م) في معركة صفين الشهيرة ٦٦١م (يعتقد بأنها في محافظة الرقة السورية على نهر الفرات) ...... و غيرها من الميزات التي دفعت أعضاء الحلف القحطاني خلال مؤتمرهم المنعقد بالجابية (بين دمشق و درعا) عام ٦٨٤م إلى تنصيبه خليفة للمسلمين لمواجهة خطر نظيره عبد الله بن الزبير الذي بدأ يداهم وجودهم في الشام بعد إستيلائه على مصر في نفس العام مما أدى إلى محاصرتهم و التضييق عليهم ليصبح بن بحدل أول يمني يتولى الخلافة و يلقب بأمير المؤمنين منذ ظهور هذا المنصب بعيد وفاة الرسول (ص) عام ٦٣٢م و يقود جيشهم ضد أنصار إبن الزبير من القيسية في الموقعة الفاصلة التي جرت في مرج راهط (جنوب سوريا) ٦٨٥م و التي حسمت لصالح الأول ضد الثاني الذي قتل زعيمهم الضحاك فيها ، لكن حسان بن بحدل لم يدم في منصبه سوى ثمانية أشهر فقط من يونيو عام ٦٨٤م حتى يناير عام ٦٨٥م كما ذكر بيوتروفسكي في كتابه (ملحمة عن الملك الحميري اسعد الكامل) ص٣٢-٣٣ حيث ما لبث بعد المعركة أن تنازل عنه لصهره و خلفه المحمدي مروان بن الحكم الأموي (٦٨٥م) الذي بدوره مات بعد ثمانية أسابيع من تولية الخلافة و يتولى من بعده نجله عبد الملك بن مروان (٦٨٥-٧٠٥م)

الذي يعتبر المؤسس الثاني للدولة الأموية بعد معاوية بن أبي سفيان و لتنهض على يديه من جديد بعد فترة إنقطاع دامت سنة بأكملها .

و ما دفع بن بحدل لتبني هذا القرار المفاجئ الأسباب التالية :

- شرعية قرشية الخلافة حيث لم يفقد هذا الشرط مصداقيته و شرعيته المستمدة من السنة النبوية حينذاك مما دفع الخليفة عبد الله بن الزبير رضي الله عنه لإستغلال هذا المبدأ لصالحه في حربه ضد الخليفة حسان بن بحدل حيث يتصل نسبه إلى فرع عبد العزى أحد بطون قبيلة كلاب القرشية مما أضعف موقف الأخير رغم إنتصاره الساحق عليه في مرج راهط .

- إنشقاق المعسكر اليمني عامة و الحلف القحطاني خاصة فيما بينهم حول إختيار بن بحدل خليفة للمسلمين خلال مؤتمر الجابية ، فقبائل حمير و الأوس و الخزرج اليمنية القاطنة في حمص و يقودهم واليها النعمان بن بشير إعترضت على إختياره و إعتبرت أنها الأولى بمنصب الخلافة من قبيلة كلب و شركائها قبائل جذام و تنوخ و قضاعة على الرغم من أنهم ينتمون إلى الحلف القحطاني و بلد واحد إلا و هو اليمن ، مما يدل على أن اليمنيين ما زالوا على الولاء القبلي بدلا من نظيره الوطني و القومي و أنهم فقدوا الوعي بوطنيتهم و قوميتهم القحطانية بعد تبنيهم الثقافة الإجتماعية للقبائل القيسية المعتمدة على رابطة الدم و النسب فقط لا الرابط الاقتصادي و العملي .

- ولاء حسان بن بحدل و قبيلته كلب أكبر القبائل اليمنية في بلاد الشام للدولة الأموية بفرعيها السفياني و المرواني .

التمييز العنصري في الدراما التركية

أتذكر ما قالته الفنانة السورية سوزان نجم الدين عن الدراما التركية أثناء إستضافتها في برنامج ناس نسمة الذي يعرض على قناة نسمة التونسية عام ٢٠١٠م بأنها مليئة بالشيء المفقود في الدراما العربية منذ سنوات عديدة إلا و هي الرومانسية الخالية من الصراعات المبتذلة بين أبناء المجتمع الواحد كالصراع بين الرجل و المرأة على سبيل المثال و التي ضاق المشاهد العربي ذرعا بها من تكرارها الممل و الغير قابل للتجديد و الإبتكار في مواضيعه المبتذلة أيضا ، و على ما يبدو فهي محقة فيما تقول و لو بنسبة ٩٥% ، فمن يتأمل من الوهلة الأولى المسلسلات التركية المعروضة على كافة القنوات الناطقة بالعربية و التركية و الكردية على حد سواء فسيجدها غارقة في الرومانسية المتطرفة البعيدة عن الأنماط الأيدولوجية المركبة التي كثيرا ما أرهقت الدراما العربية و جعلتها تبتعد عن مواضيعها الأصلية ، لكن بعد تفحصها و تمحيصها بشكل جيد غير مخل فسيعرف أنها رومانسية مفتعلة لأغراض أيدولوجية ترتبط بنهج البلاد الكمالي البحت و لاسيما أنها غالبيتها منتج في المؤسسات الإعلامية الخاصة التابعة لمراكز القوى في تركيا ، و من أهم الأدلة على ذلك التمييز العنصري الغير مباشر فيها عبر ما يزيد عن ٦٠ مسلسل تلفزيوني يعج بالعنصرية تابعها كاتب المقال بنفسه جعلته في الأخير يقسمها إلى أربعة أقسام :

- العنصرية العرقية أو القومية : فمازالت الدراما التركية التلفزيونية تمارس التمييز العنصري ضد القوميات الغير التركمانية (يحتلون المرتبة الثانية ديمغرافيا بعد الكراغلة

في التوزيع العرقي لسكان تركيا) الموجودة في البلد و تحديدا الأكراد و الذين مازالوا محتقرين و مغيبين في معظم مسلسلاتها التي لا تزال تظهرهم بمظهر الأشرار و من يعادوهم بمظهر الأخيار كما في مسلسلات وادي الذئاب و الأرض الطيبة و أغنية الأمل و عين المرأة و صكاريا الفرات .... أما اليمنيين و السوريين و العراقيين و السود و الغجر و الأرمن و اليونانيين فمغيبين تماما لا يذكرهم أحد عمدا ماعدا مسلسلات الزهرة البيضاء و غربة إمرأة و خلف المرأة و الحب و الحرب و إكليل الورد و بائعة الورد.

- العنصرية الجهوية : أي العنصرية على أساس الغرب الغني و الشرق الفقير ، حيث لا يزال الشرق التركي ينظر إليه باحتقار و عنصرية قل نظيرها حتى في الأفلام التركية و يوصف بالتخلف و الهمجية و الوضاعة و عدم الأخلاق و الإرهاب و العنصرية ضد المرأة و الجنس كما تزعم مسلسلات سنوات الصفصاف و أغنية الأمل و ميرنا و خليل ، كما أنها تظهر ضباط الدرك و الجيش و مسئولي الدولة من قضاة و مدعين عامين و موظفين كبار الذين يضطهدون و يقمعون سكان الشرق التركي – رجالا و نساء و أطفالا و شيوخا –بوحشية لا توصف منذ ثلاثينيات القرن المنصرم حتى الآن بشكل إيجابي مزور إلى حد إعتبارهم طيبين و أخيار و يتمنون الخير لسكان المنطقة بخدماتهم الجليلة لصالحهم لكنهم ناكرون للجميل و لا يستحقون الإحترام و الحياة كما في مسلسلات غربة إمرأة و أغنية الأمل و الأرض الطيبة و الربيع الآخر على الرغم من أن نسبة الجريمة في هذه المنطقة أقل من نظيرتها في إسطنبول و بقية مدن الغرب التركي الغني بفضل أخلاقهم

العالية و طبيعتهم المحافظة و عاداتهم و تقاليدهم الحسنة بإستثناء السيئة منها رغم الفقر و البطالة الذي يطحن أهلها إلى يومنا هذا بسبب إهمال الدولة لهم و إفتقادهم للخدمات الضرورية من ماء و كهرباء و هاتف كالتي موجودة في نظيرتهم الواقعة في الغرب .

- العنصرية المناطقية : أي بين مدينة و أخرى حتى لو كانتا تنتميان إلى جهة واحدة لأغراض غير معروفة مبرراتها و غاياتها إلا في نفس يعقوب أي هيئة الإذاعة و التلفزيون التركية الحكومة المنتجة لهذا المسلسلات كأن يمدح مدينة عينتاب على حساب مدينة أورفا و كلاهما يقعان في الشرق التركي كما في مسلسل (الربيع الآخر) وإسطنبول على حساب أنقرة في مسلسل (وادي الذئاب) وهما يقعان في الغرب و إسطنبول على حساب أزمير في مسلسل (سنوات الصفصاف) على الرغم من أنهما ينتميان إلى إقليم بحر إيجة و بين مرعش و سمسون في مسلسل (سيلا) و أفيون و إسطنبول في مسلسل (نور) ..... الخ .
- العنصرية الأسرية : أي التمييز العنصري ضد أسر و عشائر معينة لا قيمة لها و لا وزن بالنسبة لمعايير النخبة الحاكمة و التي غالبية أفرادها من أسر مجهولة النسب أو بمعنى آخر لقطاء كما مع عشيرة البدرخان الكردية في مسلسل (غربة إمرأة) أما التي لها وزن و قيمة لهم فلا تذكر بتاتا فيخترعون أسماء أسر و عشائر لا وجود لها إذا ما أراد المؤلفين تجاوز الرقابة الفنية الرسمية على مسلسلاتهم كعشيرة الأوغلو (آل أو الأولاد بالتركية و تستخدم كأداة تعريف للأسر و العشائر ، على سبيل المثال ، يازجي أوغلو تعني بالتركية اليازجي أو ال اليازجي) التي لا وجود لها إلا في مسلسل (لا مكان لا وطن) و عشيرة

أصلان باش الغير موجودة إلا في مسلسل (الزهرة البيضاء) و مسلسل (جواهر) ..... الخ .

- العنصرية الأيدولوجية : أي العنصرية ضد أي شخص أو جماعة لا تتبنى الأيدولوجية الرسمية للدولة الأيدولوجية الكمالية كاليساريين و الإسلاميين و العلمانيين المنفتحين على الآخر و المعادين للنهج الكمالي للدولة التركية كما في مسلسلات الأرض الطيبة و وادي الذئاب و الأجنحة المنكسرة و الحب و الحرب ...... الخ .
- العنصرية المذهبية : و التي تمارس ضد أبناء المذهبين الشافعي الذي تعتنقه الأقليتين اليمنية و الصومالية و العلويين المنتشرين في الجنوب التركي حيث يتم تغييبهم عمدا في تلكم المسلسلات ما عدا بعض الإسكتشات المتواضعة المذكورة على إستحياء و دون تعمق صادق فيها في مسلسل عين المرأة .
- العنصرية الطبقية السياسية : أي العنصرية ضد أي شخص لا ينتمي إلى واحد من مراكز القوى الحاكمة في البلد و البعيدة عن المسالة القانونية و على عاتقها حماية النهج الكمالي فيها كالجيش و القضاء و المخابرات و هذا في معظم المسلسلات التلفزيونية دون إستثناء كمسلسل وادي الذئاب و سنوات الصفصاف و حد السكين...... الخ .

لكن هذا لا يعني أن جميع المسلسلات المذكورة آنفا على نفس هذه الشاكلة بل هناك من يشرد قصدا عن سربها التائه في بحر النظام القائم على هذا البلد منذ ٨٨ عاما كمسلسلات إكليل الورد و إيزيل و أحلام بريئة و إسطنبول سبع تلال ...... الخ ، إلا أنها

تعد مجرد أخطاء مطبعية في ذهنية الرقيب التركي سرعان ما تتخبر في سمائه الرمادية اللون و تجثم بقتامتها على عقول المشاهدين المحليين الذين لم يعد لديهم بعد الإنقلاب العسكري عام ١٩٨٠م سوى إشباع رغباتهم المكبوتة الشبه تافهة منذ سنوات عديدة .

سيرة مأساوية لأبو ضحكة جنان

هكذا وصف مسلسل (أبو ضحكة جنان) المنتج عام ٢٠٠٩م و كتبه أحمد الإبياري و أخرجه محمد عبدالعزيز حياة و مسيرة ملك المونولوج الفنان المصري الراحل إسماعيل ياسين (١٩١٢-١٩٧٢م) الذي أمتع الجماهير العربية العريضة و أضحكها و رسم البسمة في وجوهها خلال عقدين من الزمن عبر منولوجاته الساخرة و حركاته و تعابيره الفكاهية و التي أحيانا كانت تتجاوز حدود اللامعقول من شدة طرافتها كما في أفلامه الآنسة حنفي (١٩٤٧م) و الفانوس السحري (١٩٦٠م) ...... الخ ، حيث كانت حياته مليئة بالمآسي و النكبات التي رافقته منذ نعومة أظافره كوفاة والدته (حنان سليمان) و هو في سن الخامسة من عمره ثم زواج والده الصايغ ياسين (لطفي لبيب) مرة أخرى عليها من إمرأة بريطانية (مي صابونجي) تحترف مع شقيقها النصب و الإحتيال متنكرين بصفة رجال أعمال من مانشستر و يمتلكون فندقا في السويس لتحل كارثتها عليه و مستقبله و عائلته ، فطرد من المدرسة لأنه لم يستطع أن يدفع المصاريف المالية و هو لا يزال في الصف السادس الإبتدائي رغم إجتهاده في دراسته حيث كان يأتي الأول على زملائه ، ثم من منزله بطلب من زوجة أبيه التي كانت تكرهه كرها شديدا ليصبح موزعا بين بيت جدته لأمه (عائشة الكيلاني) و العم حسين العامل في حانوت والده قبل أن يبيعه الأخير بعد تعرضه للسرقة فالإفلاس و بعد طلاقه من زوجته الذي إكتشف حقيقتها السيئة الصادمة له كونها لصة و محتالة لم تتعرض للعقاب و لاسيما أن الشرطة لم تحرك ساكنا تجاهها بإعتبارها من الرعايا البريطانيين و تحت حماية سلطات الإحتلال البريطاني و هذه الحادثة جعلت إسماعيل ياسين (أشرف

عبدالباقي) يكره هذه الدولة كرها شديدا لما فعلته ببلده مصر و لاسيما مسقط رأسه السويس تلك المدينة الباسلة التي واجه أبناؤها بشجاعة العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦م .

و بعد أن إلتئم شمله مع والده مجددا ، بدأ يستهويه الفن و لاسيما الطرب و الغناء حيث كان يستمع للمدائح النبوية التي تنشدها الطرق الصوفية بالسويس و أغاني مثله الأعلى الفنان الكبير محمد عبدالوهاب (١٩٠٠-١٩٩١م) ، فبدأ منذ تلك اللحظة يحلم بأن يصبح مطربا مشهورا مثله و لاسيما أنه غنى في العديد من الحفلات و الأعراس و الموالد الدينية في السويس فأعجب أصدقائه و الناس بصوته العذب فقرر أن يشد رحاله نحو القاهرة عله يصيب ما أراد و ينافس أستاذه عبدالوهاب كما كان يمني نفسه ذلك .

فما أن وصل القاهرة مطلع الثلاثينيات حتى عانى الأمرين حيث لم يكن طريقه مفروشا بالورود هناك ، فقد عاش أياما مرة مرارة العلقم مشردا في الشوارع بلا مأوى و لا عشاء يذكر ، حتى أنه لم يستطع أن يؤمن المال الكافي لنفقاته اليومية في تلك الفترة رغم أنه عمل المستحيل و غنى في العديد من قصور النبلاء و الشخصيات الرفيعة و الأغنياء سواء في القاهرة أم في مسقط رأسه السويس و الكباريهات و النوادي الليلية و الإذاعات الخاصة و الحكومية على حد سواء دون أن يتمكن من تحسين وضعه المادي أو حتى إثبات وجوده كفنان طامح للشهرة في عالم الطرب قبل أن يستقر به المطاف عام ١٩٣٩م على خشبة مسرح كازينو بديعة مصابني (كارمن لبس) الراقصة الإستعراضية اللبنانية التي تخرج و إشتهر على يديها نصف فناني و مطربي و راقصات مصر (و من بينهم إسماعيل ياسين)

خلال عقدي الخمسينيات و الستينيات مع أنه طرد من هناك بسبب كره مديرها أنطوان (أيمن الشيوي) له قبل أن يترك العمل مع خالته السيدة بديعة ليلتحق بزوجته و منافستها ببا عزالدين (ميسرة) في ملهاها الليلي القائم بالإسكندرية ، فسرعان ما تفتحت أبواب الشهرة أمامه منذ تلك اللحظة و لاسيما بعد أن قرر إحتراف فن الكوميديا و المنولوج و تخلى عن فكرة الطرب و منافسة أستاذه عبدالوهاب بعدما أدرك قيمة الأول و مدى تأثيره على المجتمع و خطورته وجديته في تناول قضايا الناس و همومهم اليومية بأسلوب ساخر ، فقدم العديد من المنولوجات الرائعة و الناجحة التي حققت له شعبية جماهيرية واسعة داخل مصر (القاهرة ، الإسكندرية ، دمياط ، السويس) و فلسطين و لبنان و سوريا و اليمن و الكويت دون أن يسخروا من وجهه الدميم ، و أيضا ولج عالم السينما منذ عام ١٩٤٧م بقوة متسارعة و رغبة جامحة لتعويض ما فاته من عروض العمل و لاسيما في المسرح بعد إنتهاء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥م و تجربتي زواج فاشلتين من إمرأتين تنتميان إلى الوسط الفني و الذي عادة ما يوصف الزواج بين الفنانين بزواج الساندويتش بمعنى زواج سريع و طلاق سريع ، فكان يمثل حوالي طاقة إبداعية جبارة كانت مخزونة في جوانحه منذ سنوات جعلته ملك المنولوج و نجم الكوميديا العربية خلال عقدي الأربعينات و الخمسينات رغم أنه لم يكن يهتم بمسالة النجومية بتاتا حيث كان يمثل أدوارا مساعدة إلى جانب ممثلين أقل منه شهرة في بعض الأحيان ، و كذلك جمع ثروة مالية ضخمة جعلته الأغنى و الأعلى أجرا من زملائه أم كلثوم و فريد الأطرش و أنور وجدي و حتى من أستاذه محمد عبدالوهاب كما أنه شكل هو و صديقه الكاتب الساخر أبو السعود الإبياري (صلاح عبدالله) ثنائيا رائعا

في المسرح الكوميدي بعد تأسيس فرقة إسماعيل ياسين المسرحية عام١٩٥٥م كما ذكر الصحفي الكبير محمود معروف ذلك في برنامجه (حكايات صحفية) على الفضائية المصرية عام ٢٠٠٢م ، لكن هذه الأمور و جرأته النقدية في تناول هذه المواضيع عبر المسرح دفعت بعض المسئولين في الدولة و الصحفيين إلى صب جام غضبهم عليه فلفقوا له تهمة التهرب الضريبي عام ١٩٦٦م على الرغم من أنه كان يدفع الضريبة في موعدها المحدد (و من المعروف أن الضرائب سواء في مصر أم نظيراتها في العالم العربي تفرض على المواطنين لأسباب سياسية بحتة و لا تنفق عائداتها عليهم بتاتا) فأجهزوا على ثروته و حجزوا على أمواله و ممتلكاته ليعود إلى نقطة الصفر كما كان في الماضي فقيرا معدما لكن هذه المرة معه زوجته (رانيا فريد شوقي) و إبنه المخرج ياسين إسماعيل ياسين (أحمد الإبياري) فإضطر إلى العمل في النوادي الليلية لتأمين المصاريف لهما ليجابه بسهام نيران الصحافة الصفراء المشوهة لسمعته دون إعتبار لمكانته الفنية و الإبداعية كفنان عظيم فيموت في شقته المتواضعة كمدا و قهرا عام ١٩٧٢م .

و هذا ما أراد المسلسل أن يطرحه منذ البداية أمام المشاهدين العرب من المحيط إلى الخليج عن التجاهل الإعلامي الشبه متعمد لهذا الفنان الكبير سواء على المستوى الرسمي أم الشعبي في العالم العربي و لاسيما في بلده مصر و أيضا بلدي اليمن الذي زاره في العام ١٩٦٣م في برامج تعد بالأصابع لندرتها حيث لازالوا يعتبروه مجرد مهرج أو بهلوان في سيرك جمال عبدالناصر هدفه إضحاك الجمهور و الناس بحركات تهريجيه و مقاطع فكاهية بهدف تخديرهم و إبعادهم عن واقعهم المر لصالح سلطته القمعية قبل هزيمته في حرب

١٩٦٧م كما يقولون ، على الرغم أنهم أو تناسوا دوره الريادي البارز في رفع مستوى فن الكوميديا في الدراما العربية و إثرائها أيضا .

داليدا ... صوت شجي بلغات العالم

إذا سئلت أي فرنسي عن المطربة الشهيرة داليدا (١٩٣٣-١٩٨٧م) فسيقول أنها أهم مطربة فرنسية في بلاده ، نفس الشيء ينطبق مع أي شخص في مصر و أمريكا و أي مكان في العالم وصل صدى صوتها الجهوري الشجي إليه ، رغم أن أرومتها تعود إلى أرض الرومان و موطن البالية و الأوبرا و الكوميديا دي لا رتي إيطاليا .

لم تعلم عائلتها المهاجرة إلى مصر منذ أوائل القرن العشرين أن إبنتهم التي كانت تعاني من مرض في عينيها و هي في سن الرابعة من عمرها مما جعلها تعتزل الناس و ترتدي نظارات طبية ستصبح مطربة مشهورة و يذيع صيتها أرجاء المعمورة ، حيث ولدت يولاندا جيغليوتي و هو إسمها الحقيقي في حي شبرا بالقاهرة عام ١٩٣٣م (المليىء بمهاجرين قادمين من سوريا و لبنان و فلسطين و أوروبا بثقافاتهم المتعددة يتعايشون بسلام جنبا إلى جنب) من أسرة إيطالية صغيرة تنتمي إلى الطبقة البرجوازية و مكونة من أبيها بيترو عازف الكمان الذي كان يعمل في خلوصي بالإسكندرية ثم في دار الأوبرا المصرية ، و أمها ربة بيت و شقيقيها أورلاندو الشهير باسم (ماريو) و الذي سطع نجمه كمطرب خلال عقد السبعينات و برونو و هو أصغر منها سنا و كان يلحن أغانيها و يدير أعمالها .

درست في مدرسة كاثوليكية يديرها مبشرون تماشيا مع رغبة أسرتها المحافظة التي كانت تتعارض دائما مع طبيعتها المتحررة و الخارجة عن المألوف و لاسيما أنها عانت من نظرة الناس الساخرة إلى عينيها و وجها الشبه دميم لدرجة وصفها بالمجنونة ، فكانت تسعى إلى

إثبات مهاراتها بكافة الطرق و في مجالات شتى قبل ولوجها عالم الغناء ، فكانت عارضة أزياء حيث ظهرت مرتدية ثياب السباحة الشبه العارية (المايوه) في أغلفة المجلات ثم فتاة إعلانات في إحدى الشركات الأجنبية لمواد التجميل في مصر مما أثار حفيظة والديها و لاسيما بعد مشاركتها في مسابقة ملكة جمال مصر و حصولها على اللقب عام ١٩٥١م ، لكنها لم تبالي بغضبهما و أصرت على موقفها ، فمثلت في أفلام مصرية كنجمة إغراء لكن في أدوار ثانوية ، إلا أنها لفتت نظر أحد المخرجين الفرنسيين فيها عبر موهبتها الفذة في الغناء ، فعرض عليها أن تسافر إلى فرنسا و تشارك في أفلامه ، و سرعان ما وافقت على طلبه دون تردد و وجدت أنها فرصة ثمينة لإبراز مواهبها المدفونة و المكبوتة لتفجرها علها تحسن صورتها أمام أعين الناس ، و ما أن وطأت قدماها مدينة النور باريس مطلع العام ١٩٥٥م حتى إستهلت مشوارها الفني بشعلة نشاط متقدة لا تنطفئ و عزيمة لا تلين و لاسيما في موهبتها الأساسية الغناء ، فقدمت العديد من الأغاني الناجحة الشهيرة رغم تعثرها في البداية بالإذاعة و التلفزيون و المسرح شاملة جميع ألوان الموسيقى الغربية التقليدية و الغير تقليدية كالأوبرا و الكورال[1] و اليي ي[2] و البوب و الجاز و الروك بلغت أحد عشر عملا و من أهمها **Madonna** (مريم العذراء) و **bambino** (طفلي أو حبيبي " بالإيطالية) و التي بيعت منها حوالي ٣٠٠ ألف أسطوانة في أنحاء العالم عام ١٩٥٧م ثم حصلت على جائزة الأوسكار الذهبية التابعة لإذاعة مونت كارلو عن أغنيتها**gondolier** (قارب الجندول) عام ١٩٥٨م .

---

[1] نوع من الغناء الجماعي الراقي دون آلات موسيقية (المؤلف) .

[2] موسيقى شبابية فرنسية ظهرت في خمسينيات القرن العشرين (المؤلف) .

في فترة الستينيات ، بدأت بترسيخ أقدامها في عالم الفن ، فغنت على مسرح الأولمبيا للمرة الأولى (بعدما طردها جمهوره من قبل و هي في بداياتها كنجمة محترفة) أغانيها من نوع موسيقى اليي يي حيث تربعت على عرشها خلالها الستينيات متغلبة على تشوبايس لتنال إعجابهم في ذلك المساء ، و قامت بجولات في موطنها الأصلي إيطاليا و هونغ كونغ و اليابان و فيتنام الجنوبية لتصبح نجمتهم الأولى بلا منازع ، نفس الشيء حدث في فرنسا بعدما أصبحت أهم مطربة في تلك الفترة بنظر الجماهير هناك بعد أغنيتها التي نالت إعجابهم **petit Gonzalez** (صغيري غونزاليز) و صارت حديث الناس و العالم في مقر إقامتها بمونمارت و لاسيما بعد مشاركتها عام ١٩٦٥م في الفيلم اليوناني الشهير (رقصة زوربا) ، و في عام ١٩٦٧م غنت أغنيتها الثانية باللغة الايطالية **ciao amore** (وداعا للحب) .

و لم تكن السبعينيات حتى الثمانينات أقل شانا من سابقاتها السالفات الذكر ، لكنها شهدت معاناتها و آلامها و بذور أفولها ، فرغم أنها إستمرت في عطائها الفني حيث قدمت **parole parole** (كلام كلام) مع صديقها نجم الأكشن في السينما الفرنسية الآن ديلون الذي شاركها في فيلم بنفس العنوان المذكور سلفا ، و شعبيتها العارمة بين جمهور مسرح الأولمبيا العريق بباريس و فوزها بجائزة الأكاديمية الفرنسية عام ١٩٧٤م و تقديمها أغاني جديدة سجلتها في فرنسا و المانيا و أمريكا أعوام ١٩٧٥م و ١٩٧٦م و ١٩٧٨م ، ثم جولتها المشهورة إلى الشرق الأوسط (١٩٧٨-١٩٧٩م) و لاسيما إلى مسقط رأسها مصر حيث قدمت أغانيها الناطقة باللغة العربية و المستوحاة من الفلكلور المصري (سلمى

يا سلامة) و (حلوة يا بلدي) و كلاهما من كلمات الشاعر المصري الكبير المتعدد المواهب صلاح جاهين (٠٠٠-١٩٨٥م) لتصبح على إثرهما معبودة الجماهير المصرية حيث لا تزال تكن أخلص مشاعر حبها لهذا البلد ، لدرجة أن الرئيس المصري الراحل أنور السادات (١٩٧٠-١٩٨١م) حضر أحد حفلاتها شخصيا في دار الأوبرا المصرية عام ١٩٧٩م ، إلا أنها سرعان ما بدأت شهرتها بالإضمحلال بعد فقدانها السيطرة على عرش الي بي عام ١٩٨٠م و تضاءلت عدد الشركات الفنية المتعاملة معها و بالتالي الحفلات الغنائية في أنحاء العالم حيث تقلصت إلى ثلاثة فقط في كندا و اليابان عام ١٩٨١م و لم تغني سوى ثلاثة أغاني فقط و مشاركة وحيدة في الفيلم المصري (اليوم السادس) للمخرج يوسف شاهين عام ١٩٨٦م ، إضافة إلى أنها إنتابتها الكثير من الصدمات النفسية كوفاة والدها بعد خروجه من السجن في إيطاليا عام ١٩٦٨م و فشل زيجاتها الثلاث إحداهما إنتهت بالطلاق عام ١٩٦٣م و الزوجان الآخران إنتحرا ما بين عامي ١٩٦٧م و ١٩٨٢م فدخلت في حالة إكتئاب حاد دفعها إلى الإنتحار عبر تناولها جرعة زائدة من الحبوب في منزلها بمونمارت ليوافيها الأجل في الثالث عشر من مايو عام ١٩٨٧م تاركة شريط مسجل بصوتها يقول (لم أجد أي شخص في العالم ينقذني من قلقي و وحدتي القاتلة تلك أبدا) رغم أنها غنت للعالم بقاراته السبع و بكافة لغاته لتحصد إعجاب العديد من شعوبه الذين حضروا بأطيافهم و أديانهم لتشييع جنازتها الممتدة على جادة الشانزليزيه في ذلك اليوم الحزين .

علماء و رجال دين يمنيون متنورون

يوصف الفقهاء أو رجال الدين المسلمين في بلادنا اليمن و من كافة المذاهب الزيدية و الشافعية و الإسماعيلية سوآء أكانوا موالين للسلطة و الدولة أم معارضين لها على الدوام بأنهم متحجرون و متزمتون و متطرفون في أفكارهم و أساليبهم الدعوية و بالتالي إنعكس سلبا على موقفهم من الآخر الذي لا ينتمي إلى دينه و لاسيما الديانات السماوية كالمسيحية و اليهودية و الحنيفية و الذي يتسم بالعدائية و الإقصائية لهم مستدلين بذلك من الآية الكريمة (لن ترضى عنك اليهود و النصارى حتى تتبع ملتهم () قل أن هدى الله هو الهدى () و لئن إتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي و لا نصير) مع العلم أنها آية تاريخية و نزلت ضمن سياق تاريخي معين متعلق بسيرة الرسول الكريم (ص) و عصره دون أن تكون بالضرورة مناسبة لأزمنتنا الحالية ، كما أن ذلك مخالف للركنين الثالث و الرابع من أركان الإيمان في الإسلام و هما الإيمان برسله و بكتبه السماوية ، كما أن التحصيل العلمي و الديني و وسائله المعرفية و طرق تدريسها لاتزال تتسم بالجمود و التقليد و إعتمادهم منهج الحفظ النظري بدلا من التجديد فيها و التحليل العقلاني مما أدى إلى فهمهم للكتاب و السنة فهما سطحيا ضيقا لا يرقى إلى مستوى التحليل و الإجتهاد و التعمق العلمي و أصبح خطابهم الموجه إلى العامة يتسم بالغلظة و الفظاظة ظنا منهم أن بهذا الأسلوب سيرضون الله عز و جل و يكسبون إحترام الجميع لأنهم يعدون من وجهة نظرهم متمسكين بمبادئهم لا ينحرفون عنها قيد أنملة و هذا غير صحيح ، لكنهم أمام موجة التدين الزائف التي تجتاح سكان اليمن و لاسيما فئة الشباب عقب حرب صيف ١٩٩٤م و

الناتجة عن إرتفاع نسبة الفقر و البطالة و الأزمات الاقتصادية كما هي عادة الإنسان اليمني على مر العصور الذي يهرب من مواجهة مشاكله و واقعه المؤلم و إستخدام عقله لحلها إلى التدين الزائف الذي لا يفهم منه سوى القشور ، و مع ذلك فإن بلادنا لم تخلوا من علماء و رجال دين متنورين و معتدلين عقلانيين يمتازون بقراءتهم العميقة على أسس علمية للكتاب و السنة و ينفتحون على الآخر بغض النظر عن معتقداته المخالفة لهم بأسلوب هادئ و جدير بالإحترام رغم أنهم يعدون بالأصابع ، و من الأمثلة المهمة عن هؤلاء فضيلة الشيخ أحمد العبادي (١٨٨٣-١٩٦٨م) و هو من العلماء الأفذاذ الذين قادوا حركة التنوير و التجديد العلمي بالفقه الإسلامي في اليمن و طرق تدريسه أيضا ، فمنذ أن ترك مسقط رأسه في مديرية حبيش بمحافظة إب بعدما أن ختم القران الكريم على يد والده ، ما إنفك يعبر العالم الإسلامي طولا و عرضا و يتعرف و يطلع على العديد من المذاهب الأخرى إلى جانب مذهبه الشافعي كالزيدية و الحنفية و الشيعية الإمامية و الإباضية و دخل مع أتباعهم في مناظرات فقهية حيث إتسم أسلوبه في النقاش و الرد بالتهذيب و المرونة و الإتزان و إحترام الرأي الآخر حتى و لو لم يقتنع بمعتقداته أو أفكاره و إستنباط الأدلة العقلية مما جعله ينظر إليه من قبل فقهاء هذه المذاهب نظرة إحترام و تقدير نبيلين ، بل إنه أحدث ثورة في وسائل و مناهج تدريس الفقه و أصول الدين في المدرسة المحسنية و هي أول معهد عالي أو كلية جامعية في لحج حيث تأسست عام ١٩٣٠م عل يد السلطان عبدالكريم بن فضل العبدلي (١٨٨١-١٩٣٣م) حيث إستخدم جهاز التصوير السينمائي بغرض جعل الطلاب يستوعبون الدروس و تترسخ معلوماتها في عقولهم بشكل أفضل عبر عرضه العديد من

الأفلام العلمية و الدينية و السينمائية المكونة من تمثيليات مسرحية يعدها الطلاب و أفلام تاريخية عن سيرة الرسول الكريم (ص) و صحابته الكرام كما ذكر لنا د / علوي عبدالله طاهر – الأستاذ بكلية التربية العليا – جامعة عدن في مقاله المنشور بمجلة الإكليل ، العدد الثاني – ١٩٨٨م (النوادي الأدبية و الثقافية في عدن) مما أثار إستهجان الفقهاء و العلماء و أثار غضبهم حيث عدو تصرفه عظيما و خروجا عن الدين لأنه إستعان بآلة شيطانية أسوة بالمذياع آنذاك و كلاهما يبث الأفلام و البرامج المحرمة الناشرة للفواحش و الموبقات و الفسق و الفجور التي لا ترضي الله و رسوله ، و إختراعهما من قبل الكفار يعد من علامات الساعة و تنذر بقيامها و غاب عن ذهنهم القاعدة الفقهية التي تقول بأن العلة (السبب) ليس في الشيء أو الغرض المراد الإنتفاع منه بل في سوء إستخدامه ، كذلك أباح لتلاميذه حرية التساؤل و المناقشة دون حرج في كل ما يتعلق بالدين من فقه و توحيد و حديث.... الخ و حتى المواضيع المحرمة فيها بإعتبارها من قبل الفقهاء خطوط حمراء لا يجوز لأي مسلم تجاوزها أو الحديث كالتوحيد و الشرك و الخلق و الميراث و الجماع بين الرجل و المرأة و الجنابة و الإيمان و الكفر و الصحابة و قائمة طويلة لا تنتهي من منطلق إستناده إلى للقاعدة الفقهية التي مفادها بأن لا حياء في الدين ، كما سعى إلى تنمية مواهبهم الفردية حتى و لو كانت خارج نطاق تعليمهم الفقهي فساهم في إنشاء العديد من النوادي الأدبية و الثقافية في عدن عندما كان إماما و خطيبا لمسجد زكو في الشيخ عثمان لتتبناهم و ليتخرج على يديه العديد من الشخصيات البارزة التي ساهمت بدورها و أثرت الحركة الثقافية و الفكرية في اليمن كالشاعر الفذ محمد سعيد جرادة (١٩٢٧-١٩٩١م) و

المؤرخ الكبير عبدالله محيرز (١٩٣١-١٩٩١م) و العالم الجليل فضيلة الشيخ محمد سالم البيحاني (١٩٠٨-١٩٧٢م) أحد رواد الحركة الوطنية اليمنية ضد الإستعمار البريطاني في المثال الثاني من المقال حيث حول مسجد العسقلاني بعدن إلى واحد من أهم منابرها عبر خطبه النارية التي ألهبت حماس الجماهير ضد الإنجليز و حكومتهم الإستعمارية رغم أن كان يتسلم مرتبه منهم كما ذكر د / عبدالعزيز المسعودي – أستاذ تاريخ اليمن المعاصر بكلية الآداب – جامعة صنعاء دون أن يستخدم ألفاظا نابية أو إقصائية أو عنصرية خلال خطبه و حواراته و ردوده حيال الأخر سوآء كان مسلما أم مسيحيا ، إنجليزيا أم يمنيا ، علمانيا أم إسلاميا ، و خير دليل على ذلك ما ذكره عميد المترجمين اليمنيين الأستاذ عبدالله فاضل فارع خلال لقائه بالمذيع شكيب عوض في تلفزيون عدن في يونيو عام ٢٠٠٤م على خلفية الإحتفال باليوبيل الذهبي لتأسيس إذاعة عدن الوطنية ، كما أنه نزع فتيل الحرب بين الجبهة القومية و جبهة التحرير قبيل الإستقلال للحفاظ على الوحدة الوطنية لليمنيين و عملا بقول الحق تبارك و تعالى (و إعتصموا بحبل الله جميعا و لا تفرقوا ()و أذكروا نعمة الله عليكم إذا كنتم أعداء فألف بين قلوبهم و صرتهم بنعمته إخوانا) و هو لا يتوافق مع كليهما فكريا أو سياسيا ، نفس الشيء تكرر عندما إستولى الجناح اليساري في الجبهة القومية على السلطة عام ١٩٦٩م حيث وقف أمام خيارين : أما أن يقوم بتحريض الناس ضدهم حتى و لو أدى إلى اشتباكات مسلحة و أما أن ينسحب بعد أن يعبر عن رأيه نحوهم بصراحة ، فآثر الثاني و إنتقل إلى تعز بعد وفاة معلمه أحمد العبادي عام ١٩٦٨م حفاظا على الوحدة الوطنية للبلد و منعا للفتنة و حتى لا تدخل في حرب أهلية طاحنة لن

تبق و لن تذر و لن يستفيد منها أحد عارفا بطبيعة المجتمع اليمني الجبلية الميالة إلى الحروب و ليس كما يفعله الإسلاميون في جميع بقاع العالم الإسلامي في وقتنا الحاضر من إثارة الفتن و المشاكل باسم الإسلام مما يدل تصرفه هذا على مدى قدرته على تشخيص المشكلة بشكل صحيح و إستخدام الحلول المناسبة لها دون أن تدفعه للتخلي عن مبادئه ، أما مثالنا الثالث فهو ما أورده د / محمد عبد الملك المتوكل – أستاذ العلوم السياسية بكلية التجارة بجامعة صنعاء في كتابه (الصحافة اليمنية – نشأتها و تطورها) و في الفصل الذي تحدث فيه عن صحيفة (السلام) و مؤسسها و رئيس تحريرها عبد السلام الشرجبي حيث ذكر أن فضيلة الشيخ الأمير محمد بن أحمد الوزير حاكم لواء تعز في عهد الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين الذي أعدم أخيه الإمام عبدالله بن أحمد الوزير قائد ثورة ١٩٤٨م أصدر فتوى شرعية نشرت في الصحيفة المذكورة سلفا عام ١٩٥٧م و أثارت ضجة كبيرة حينها بين الفقهاء من أتباع المذهبين الزيدي و الشافعي لأنها تتعلق بحجاب المرأة حيث إعتبر أن إرتدائها ليس فريضة بسبب إختلاف العلماء من كافة المذاهب حول مسالة وجوبها أم لا و المواضع الجسدية التي تقع ضمن نطاقها ، الغريب أن الفتوى السالفة الذكر بعدم وجوب إرتداء المرأة المسلمة للحجاب تصدر في دولة ثيوقراطية (دينية) متشددة تفرض الحجاب و النقاب على المرأة بالقوة و لا تسمح لها حتى بالخروج من البيت آنذاك إسمها المملكة المتوكلية اليمنية ، و الأغرب أنه ينتمي إلى الجناح المتزمت و المتشدد من فقهاء المذهب الزيدي على حد تعبير د / عبدالعزيز المسعودي في حديثه لنا بعد إحدى المحاضرات في مادة تاريخ اليمن المعاصر مما يبرهن على أمانته العلمية لآرائه الفقهية ، أما المثال الرابع و

الأخير هو حسين بن عبدالله المحضار مفتي و قاضي مدينة حبان الواقعة في محافظة شبوة خلال ثلاثينيات القرن العشرين و الذي أيضا شارك في إنشاء العديد من المدارس النظامية و الجمعيات الصناعية و التجارية فيها ، كما حقق واحدا من أهم إنجازاته المتمثلة في تحويل جزء من بيته إلى متحف للآثار اليمنية القديمة و المصنوعات التقليدية الموجودة في حبان عام **١٩٣٥**م حيث نذر جزء من حياته لجمع آثار بلاده و تراثها الشعبي مما أثار إستغراب بعض الفقهاء في تلك الفترة من إهتمامه بأوثان و أصنام يعد تداولها من وجهة نظرهم حرام و شرك بالله ، إضافة إلى أنها ما تبقى لحضارات كافرة و سابقة على الإسلام مما يدل على درجة إستيعابه العقلاني السليم للدين الإسلامي و أركانه و موقفه من الولاء للوطن و قيمته الغالية لدى الإنسان عبر تعمقه لسيرة الرسول الكريم (ص) الذي كان يحب مسقط رأسه مكة المكرمة و كل ركن فيها كثيرا ...... و غيرها من الأمثلة التي لا يتسع مقالنا لها على الرغم من ندرتها إلا أنها تظل مشاعلا و قناديل نورانية تهدي طاقتها و وقودها العقلاني جيوشا بأكملها من المسلمين إلى جادة الصواب في أمور دينهم و دنياهم بعيدا عن المسلمات النقلية و المتطرفة و المسيسة و السطحية التي عفا عليها الزمن حيث لم تتجاوز قشور الدين إلى مضمونه بالمرة إلى يومنا هذا .

ذاكرة الجسد بين النص و العمل الدرامي

يبدو أن ظاهرة الإعتداء على حقوق المؤلف بإسم الفن في الدراما العربية لايزال مستمرا حتى هذه اللحظة ، فمنذ مقالي المنشور في العدد ٤٨٦ من صحيفة الثقافية الأسبوعية من شهر يونيو عام ٢٠٠٩م الذي تناول نماذجا من الروايات و الأعمال الأدبية العربية حتى يومنا هذا تعرضت لسطو و تشويه من كتاب سيناريو عرب و أجانب – مشهورين كانوا أم مغمورين – من المفترض أنهم أكثر حرصا على بنائها الدرامي و وفاء لسياقها السردي و الحواري و لا يحدثون أي تغييرات فيها إلا بإذن مسبق من كاتبها أو ورثته أن كان ميتا ، و هذا ما سنجده من خلال إستعراضنا لمسلسل (ذاكرة الجسد) التي أنتجته قناة أبو ظبي الإماراتية عام ٢٠١٠م ثم مقارنته بالنص الأصلي للرواية التي بنفس عنوان المسلسل للكاتبة الجزائرية المرموقة أحلام مستغانمي الصادرة دار الآداب عام ١٩٨٨م و الذي حقق أعلى المبيعات في أنحاء العالم العربي و ترجم إلى العديد من اللغات الأجنبية خلال عشرة أعوام من صدوره مما دفع المنتجين إلى تحويله إلى عمل درامي يخلد ذكراه في عقول المشاهدين العرب صغيرهم قبل كبيرهم على حد سواء ، فأقدمت قناة أبوظبي على إنتاجه في مسلسل تلفزيوني كما أسلفنا الذكر قبيل شهر رمضان و قام بإخراجه المخرج السوري الكبير إسماعيل نجدت أنزور و تولى كتابة السيناريو و الحوار فيه الكاتبة السورية الفلسطينية الأصل ريم حنا ، و طرحنا على أنفسنا هذا التساؤل ، هل السيدة ريم حنا كانت أمينة في تقيدها بنص الرواية حرفيا عند كتابتها المسلسل أم لا ؟ و لا سيما أننا بعد مقارنته بالنص الأصلي إكتشفنا العكس ، حيث عكفت كاتبة السيناريو المذكورة سلفا بالعبث بمحتوياتها

و حذف و إضافة ما تريده إرضاء للجهة المنتجة و الرقابة معا دون أخذ الإذن من كاتبة الرواية ، و من بين هذه الأمور أو الأشياء التي تدل على ذلك إختلاقها قصصا و أحداثا و شخصيات غير موجودة بين دفتي الرواية كزواج حياة من سي مصطفى و هو لم يتزوجها بتاتا على الرغم من أنه قاتل تحت راية والدها سي الطاهر و ظهور الإسلاميين في الساحة السياسية و تحريكهم لإحداث عام ١٩٨٨م و التي عبرت عن غضب الشارع الجزائري الهائج الذي لم يعد يحتمل الوضع الإقتصادي السيئ عقب إنهيار أسعار النفط مطلع الثمانينات و الفساد الإداري و الديكتاتورية العسكرية القائمة منذ العام ١٩٦٥م كما أن نشاطهم ظهر بعد التعددية الحزبية التي أقرت عام ١٩٨٩م ، لكن يبدو أن كاتبة السيناريو حاولت أن تقحمهم في المسلسل تماشيا مع رغبة المنتج ، و أيضا قصة زواج خطيبة زياد الخليل (ظافر العابدين) السابقة ليلى العنابي (سميرة المقرون) من عبد القادر و حياتهما قبيل الزواج كلا إسميهما غير موجودين في الرواية ، و زواج ناصر من إبنة عمه سي الشريف و إختطافها من قبل أبوها ثم هربها منه و أيضا اللقاء الأخير بين خالد و حياة قبل زواجها و بعد وفاة زياد أو أن حسان لديه ولدين فقط و بالأساس لديه ثمانية من البنين و البنات أو حتى ذكره لصاحبة المطعم الإيطالية الأصل الذي حدث عندها اللقاء المزعوم المذكور سلفا .....الخ ، كما أن كاتبة السيناريو إرتكبت خطا صغيرا نوعا ما لكنه فادح بالنسبة لها كمحترفة متمكنة في حقلها عندما سمت إبنة عم حياة فريدة بدلا من ناديا كما هو مذكور في النص الأصلي للرواية أو إعتبار الممرضة التي إعتنت بخالد بعد بتر ذراعه في مستشفى بتونس بأنها جزائرية و ليست تونسية ، ثم أنها تعمدت بشكل كبير تجاهل ذكر الأقلية

اليهودية في الجزائر في المسلسل رغم أن الرواية استفاضت في الحديث عنهم و بشكل إيجابي نوعا ما و تحديدا علاقة بطلها خالد بن طوبال بصديق طفولته روجيه نقاش الذي ساعده أثناء غربته بباريس منذ عام ١٩٧٥م و قد هاجرت عائلة الثاني إلى فرنسا منتصف الخمسينيات ، أو المطربة سيمون التي غنت روائع المألوف القسنطيني لكنها تقتل على يد زوجها الفرنسي لأنها أحبت مهاجرا عربيا شابا ، أو عشيقة خالد اليهودية فترة مراهقته أو حارس سجن الكوديا اليهودي ، لكنها إرتأت العكس تماشيا مع تصوراتها الأيدولوجية المستمدة من نظيرتها البعثية التي يتبناها النظام الحاكم في سوريا و التي لا تفرق بين أتباع الديانة اليهودية و الصهيونية حيث تعتبرهما شيئا واحد ، فضلا عن أن غالبية اليهود في أنحاء العالم لا يعترفون بدولة إسرائيل أو يريدوا الهجرة إليها ، كما أن ٨٧% من الرواية نقد لاذع و عنيف بلسان بطلها ضد وطنه الجزائر و نظامه الحاكم آنذاك و مدينته قسنطينة و لاسيما بعد الإستقلال و الظواهر السلبية التي طرأت في المجتمع الجزائري خلال السبعينيات و الثمانينيات كالمهرجانات الفنية التي كانت الدولة تعقدها مثل مهرجان الفنون الإفريقية و مهرجان موسيقى الرأي لإلهاء الشعب عن مشاكله اليومية و أيضا الفساد الإداري و مراكز القوة الفاسدة و البطالة و الفقر في بلد يعد متوسط دخل فرده آنذاك الأعلى في قارة إفريقيا بحدود سبعة آلاف دولار شهريا ، و توظيف الكثير من النساء الصغيرات في مختلف مؤسسات الدولة المدنية و العسكرية و الشرطة بدلا من الرجال لأغراض جنسية و مصلحية و ليس على أساس الكفاءة مثلما يحدث الآن في الجزائر حيث نسبة النساء العاملات في سوق العمل الجزائري لا يتجاوز ال ٧% ، كل هذا تعمدت كاتبة السيناريو

إهماله حتى توافق عليه رقابة التلفزيون الجزائري و يعرض في قناته الأولى ....و غيرها من الأمور التي أثارت إستياء الروائية أحلام مستغانمي الشديد مما إعتبرته سطوا متعمدا على روايتها بإسم الفن ، فصبت جام غضبها على القائمين على المسلسل و لاسيما السوريين منهم و ليس كما زعم بطله الفنان السوري الكبير جمال سليمان خلال ظهوره في برنامج (مثير للجدل) على قناة أبو ظبي منتجة المسلسل أنه بسبب عدم تشجيعه لمنتخب بلادها ضد مصر خلال تصفيات كاس العالم عام ٢٠٠٩م ، و لم يمسح المشهد الأخير من الحلقة الأخيرة الذي جمع بينهما الغصة التي ألمت بصاحبة (ذاكرة الجسد) و (عابر سبيل) ألما شديدا كون ما حدث ليس إعتداء صارخا على حقوقها كمؤلفة فحسب بل أهان كرامتها الأدبية أيضا .

عندما تتحول الصحف إلى ....قنوات فضائية !

قبل ثلاثة أعوام إستوقفتني ظاهرة فريدة من نوعها لاحظتها خلال متابعتي للتلفاز و تتمثل في وجود قنوات فضائية أنشاتها صحف مقروءة لها مكانتها المرموقة في الصحافة العربية و معظمها كويتية و جزائرية كقنوات الوطن و النهار و الرأي و المستقلة ..... الخ .

في البداية إمتدحت هذه الظاهرة كثيرا و إعتبرتها أسلوبا مبتكرا من قبل المؤسسات الصحفية السالفة الذكر لتوسيع دائرة جمهورها العريض عبر جذب مشاهدي القنوات التلفزيونية إلى صفه و عرض أفكارها و آرائها المستقلة نوعا ما إليهم من خلال الشاشة الفضية الصغيرة ، لكن شيئا فشيئا بدأ ظني يخيب تماما بعدما أدركت لا تعد سوى إمتداد لنظيراتها من القنوات الترفيهية و المتنوعة لا تختلف عنهن سوى في الإسم فقط ، و لم يقف الأمر عند هذا الحد بل أضحت ملكية أكثر من الملك ، فأصبحت تقدم البرامج الترفيهية و المسلسلات العربية و الأجنبية المبتذلة و التافهة رضوخا لرأي معظم المشاهدين و بالأخص فئة الشباب منهم الذين لم يعودوا تهمهم المواضيع الجادة و لاسيما التي تناقش قضاياهم بموضوعية متناهية مثلما فعلت قناة الرأي الكويتية عندما عرضت على شاشتها المسلسل السيئ السمعة و الأخلاق (سنوات الصفصاف) بأجزائه الثلاثة دون إحترام لقيم المجتمع الكويتي الإسلامية و العربية و لاسيما أنها القناة الوحيدة التي قامت ببثه في وقت لم تجرؤ غيرها من القنوات و لاسيما الترفيهية منها على عرضه خوفا من غضبة المشاهدين و المعلنين الخليجيين ضدها ، و هذا ما جعلها تقلل من ساعات البث لها بحيث أضحت

تذاع ساعة واحدة و مرة واحدة و في أوقات غير مناسبة لمشاهدتها بشكل جيد حتى لا تنال إقبالا واسعا من جمهور الشباب العربي عامة و الخليجي خاصة عليها و الذي بات يقبل على أي شيء يخرج ما في جعبته من مشاعر مكبوتة محرمة من وجهة نظر مجتمعه التقليدي ، و لم تكتف القناة المذكورة سلفا بذلك ، بل واظبت على تقديم هذه النوعية من المسلسلات بقيمها الفوضوية تلك دون حسيب أو رقيب و إن أصبحت أكثر حذرا و جدية في إنتقائها لها من المرة السابقة دون أن تدرك في النهاية أنها قناة صحيفة و ليست كغيرها من القنوات و لاسيما أن معظم البرامج الحوارية التي يدور فيها نقاش جاد حول مواضيع محلية و دولية لم تعد مجرد حوارات مبتذلة و عقيمة لا تشجع على لغة الحوار و النقد البناء البتة تعكس ما يدور سلبا في الساحة المحلية و لاسيما الصراع السياسي بين مجلس الأمة و الأسرة الحاكمة في الكويت آنذاك .

نفس الشيء ينطبق على قناتي الوطن الكويتية و النهار الجزائرية ، فالأولى تحولت إلى قناة منوعات لا تقدم في خارطتها البرامجية سوى البرامج الترفيهية من مسلسلات درامية و أغاني محلية و عربية و إضمحلت تدريجيا البرامج الحوارية فيها التي كانت تناقش بجدية المواضيع الحيوية التي تمس المواطن الكويتي و همومه حتى كادت أن تختفي إلا ما ندر ، أما الثانية فبالرغم من أنها قناة إخبارية و لا تبث أية برامج ترفيهية تذكر إلا أن برامجها الحوارية و الإخبارية تتسم بالسطحية و التحليل المبتذل و عدم جرأتها في تناولها للقضايا الحيوية الداخلية منها و الخارجية بشكل خرجت فيه عن المألوف و الخط المرسوم التي إنتهجته الجهة المالكة لها صحيفة النهار و إعتاد عليها القارئ الجزائري منذ زمن طويل مما

يكشف لنا أن المصالح التجارية الضيقة لأصحاب المؤسسات الصحفية و الذين حلوا محل رؤسائهم و المؤسسين الأوائل الذين أفنوا حياتهم في خدمتها دون كلل او ملل أضحت أهم من شرف المهنة الذي تربوا عليه و لاسيما أن هذه القنوات المذكورة و التابعة لهم لم تقدم أية إبتكارات فنية أو برامج مبتكرة تذكر تحافظ من خلاله على النهج الإعلامي الصحفي الملتزم و جذب محتوياته الراقية و القيمة إلى جمهور الشاشة الفضية بأسلوب جديد في آن معا.

عمود التاريخ اليمني القديم هي حضرموت و ليست سبأ!

إختلف المؤرخين اليمنيين و الأجانب حول أقدم حضارة نشأت في اليمن القديم و شكلت عمود تاريخه الأساسي ، فمنهم و من بينهم هاليفي يعتبر معين هي عمود التاريخ اليمني القديم و يعود تاريخها إلى **١٠٢٥** ق.م و هم يمثلون المدرسة الفرنسية في علم اليمنيات ، بينما أتباع المدرسة الالمانية و من بينهم مولر و جلازر يعتبرون سبأ هي عمود التاريخ اليمني القديم و يعود تاريخها إلى الألف الثالث قبل الميلاد ، و ظل الباقي و لسنوات عديدة منقسمين بين هاتين المدرستين الأثريتين مازالوا يدورون في فلكيهما دون أن يسالوا أو حتى يفكروا بشأن حضارة حضرموت التي يعود تاريخها إلى الألف الخامس قبل الميلاد ؟ فلقد ذكر الدكتور عبدالعزيز صالح في كتابه الشهير (الشرق الأدنى القديم – مصر و العراق–) ص **٣٠** عن إكتشاف علماء الآثار لأواني طينية و أدوات و مبردات حجرية وجدت شمال حضرموت تعود إلى العصر الحجري القديم الأسفل و هو أقدم حقبة زمنية في مرحلة العصور الحجرية القديمة ، كما ذكر دكتور كلاوس شيبمان في كتابه (تاريخ الممالك القديمة في جنوبي الجزيرة العربية) – ص**٤٨** عن عثور بعثة كاتون – تومبسون عام **١٩٣٨**م على بقايا لمعبد للإله سين إله القمر الرسمي لدى مملكة حضرموت تعود أساساته إلى العصر الحجري القديم الأعلى ، و عثروا فيها أيضا على مجموعة من الأدوات و القطع الحجرية المصنوعة من حجر الصوان تعود إلى العصر الحجري الحديث ، بينما يذكر في ص **٤٩–٥٠** أن معظم الآثار التي وجدت في مأرب قبل ظهور مملكة سبأ يعود أقدمها إلى العصر البرونزي فقط ، فضلا عن العثور على نقش سومري وجد في منطقة الوركاء يعود إلى **٢٥٠٠** ق . م

يتحدث عن العلاقات الإقتصادية بين مملكتي أور و سبأ أو سابوم ، مما يعني لنا أن ظهور مملكة حضرموت يرجع إلى العصر الحجري الوسيط أو الحديث بينما مملكة سبأ تعود إلى العصر الحجري النحاسي أو البرونزي.

علاوة على ذلك ، فإن ظهور دويلات المدن السبئية و المعروفة بالهجر و التي تعتبر القاعدة الأساسية لنشوء أي دولة أو كيان سياسي في اليمن القديم يعود تاريخها حسبما هو مذكور في كتاب (تاريخ اليمن القديم) للأستاذ محمد عبدالقادر بافقية – ص٥١ إلى عام ١٢٠٠ ق.م ، كما أن نقش النصر يتحدث بين سطوره عن الملك السبئي كرب إيل وتر و آخر مكاربتها في السطرين الثاني عشر و الثالث عشر عن حربه ضد حضرموت و ملكها يدع إل و قتبان و ملكها ورو إل حوالي ٦٢٠ ق.م ، مما يعني أن كلا الدولتين السالفتي الذكر قد تجاوزتا مرحلتي دولة المدينة و المكاربة من قبل و أضحت كلاهما في طور المملكة في حين ظلت سبأ في مرحلة المكاربة و معين لم تتكون بعد خلال القرن السابع قبل الميلاد .

الغريب أن الجدل الأكاديمي لهذه القضية على الصعيدين المحلي و الخارجي مازال يدور حول سبأ و معين و من منهما نال قصب السبق في تربعه على قمة التاريخ اليمني القديم فقط ، و الأغرب أنهم إستثنوا حضرموت القديمة منه تماما ، و الأكثر غرابة من ذلك أنهم مازالوا يعتمدون على المصادر النقشية القديمة أما نظيراتها المكتشفة حديثا فتجاهلوها تماما مما يبرهن لنا أن الأمر لا علاقة له بالعلم أو البحث الأكاديمي بل لأغراض سياسية بحتة في نفوس هؤلاء الباحثين المهتمين بهذا الشأن لم يسبر غورها بعد .

و تبقى فلسطين هي الامل

على الرغم من مرور ثلاث سنوات على إندلاع ثورات الربيع العربي فمازالت حصيلتها لا تبشر بخير ، فالأوضاع الداخلية في بلدانه الثائرة تتدهور من سيء إلى أسوأ على كافة الاصعدة ، فمن إنهيار شبه كامل للدولة و مؤسساتها تحت وطأة حرب طاحنة بين الثوار أنفسهم على خلفيات طائفية و أيدلوجية في ليبيا (٢٠١٢م) و اليمن (٢٠١١م – ٢٠١٤م) و مرورا بإنقلاب عسكري في مصر قاده أحد أعوان نظام مبارك في مؤسسة الجيش للإطاحة بأول رئيس منتخب من قبل الشعب في أول إنتخابات رئاسية حرة ألا و هو الرئيس محمد مرسي بتواطؤ و تحريض من زملائه الليبراليين و العلمانيين الذين شارك معهم في قيادة ثورة ٢٥ يناير بحجة أنه من الإسلاميين أو الإخوان المسلمين (٢٠١٣م) و نجاحهم في تبرئة الرئيس السابق حسني مبارك و حاشيته عبر حكم قضائي مخالف للقانون (٢٠١٤م) لتعود البلاد إلى سابق عهدها ، و الحرب الباردة الشرسة بين الثوار و أعوان النظام السابق في تونس و المغرب و الأردن (٢٠١٢ – ٢٠١٤م) و إنتهاء بالكارثة السورية التي قذفت بحوالي ١٢ مليون نسمة إلى أرجاء المعمورة ليتلظوا بنار منافيها الملتهبة فتفوق أعدادهم على إثر ذلك نظرائهم الفلسطينيين منذ ١٩٤٨م تاركين إخوانهم الذين تشبثوا بأرض الوطن يكتوون بسعير الحرب الوحشية الدائرة بين الثوار و نظام الطاغية بشار الأسد و داعش الذين لم يبقوا بعنفهم الهمجي على حجر أو بشر فتضحى سوريا على يدهم مجرد أطلال خربة تعود إلى العصور البدائية و تسكنها الأشباح و الغربان (٢٠١٢ – ٢٠١٤م) .... و غيرها من الأزمات و النكبات الموجعة لقلوبنا قبل عقولنا التي لم تعد تصدق حتى تلك اللحظة أن هذا ما آلت إليه

الأوضاع في بلدان الربيع العربي و التي دفعت العديد من مؤيديها إلى اليأس و التشكيك بثوراتها الشعبية العفوية و إعتبارها مجرد هفوات عابرة و إستثنائية لم تلغ المقولة السائدة عن العرب بأنهم مجرد قطيع من الحملان الوديعة تنقاد صاغرة وراء راعيها ، و إذا ما حاولت أن تثور ضده فسرعان ما تصمت و يتحول غضبها في النهاية الى مجرد ظاهرة صوتية لا تهش و لا تنش ، إلا أن بصيصا من الأمل بدد نوعا ما نظرتنا القاتمة لتجربة الربيع العربي تمثلت بالربيع الفلسطيني الذي إندلع فجأة عبر الزحف العظيم للاجئين الفلسطينيين القادمين من لبنان و سوريا و الأردن و الضفة الغربية بأعداد هائلة صوب الخط الأخضر عام ٢٠١١م و بعزيمة و تصميم قويين لامثيل لهم ، لم يبالوا بتهديدات الجنود الإسرائيليين المتربصين لهم على الحدود و لا برصاص رشاشاتهم الموجهة صوبهم و لم تمنعهم من إرعاب الجنود و إقتحام الأراضي المحتلة منذ ١٩٤٨م ليمكثوا فيها ثلاثة أسابيع بأكملها و يعودوا أدراجهم بعدما رأوا قراهم المهدمة منذ ٦٦ عاما ، ثم سعي الرئيس محمود عباس أبو مازن الحثيث لفرض وجود الدولة الفلسطينية على أرض الواقع رغم أنف الإسرائيليين و أولياء نعمتهم الأمريكيين عبر خطابه الشهير بالجمعية العامة للأمم المتحدة في سبتمبر عام ٢٠١١م و الذي أسفر ذلك عن منح فلسطين عضوية الامم المتحدة ضمن الدرجة الثالثة بعدما كانت عضوا مراقبا فيما مضى فأقبلت العديد من دول أمريكا الجنوبية و اوروبا للإعتراف بها كان آخرها إعتراف الجمعية الوطنية الفرنسية بدولة فلسطين في نوفمبر عام ٢٠١٤م ، إضافة إلى أن الحكومة الإسرائيلية لم تفلح في مساعيها الرامية إلى تحقيق أهدافها التوسعية في الضفة الغربية و لاسيما القدس الشرقية إلى يومنا هذا ، فلم تستطع إكمال الجدار العازل تحت

ضغط المقاومة السلمية لسكان قرية بلعين البطلة و التي جذبت إهتمام العالم إليها بصمودها الأسطوري منذ العام ٢٠٠٥م فصرفوا النظر عنها تماما ، و لم يجد إصرارها في بناء المزيد من المستوطنات داخل جبل أبو غنيم و حول القدس الشرقية في إيقاف مقاطعة دول الإتحاد الاوروبي التي قررت بالإجماع وقف الدعم المالي و الإستثمارات الاقتصادية و التعاون العسكري مع إسرائيل إن لم تجمد الإستيطان العام الجاري ، فأضحت المستوطنات خالية من السكان و خاوية على عروشها بسبب أسعارها الباهظة جدا ، فضلا عن عدم تمكنها من القضاء على المقاومة المسلحة الباسلة المنطلقة من قطاع غزة و التي مرغت أنف جيشها الذي لا يقهر في التراب مرتين ، الأول في منتصف عام ٢٠١٢م عندما حاول إجتياح القطاع برا فيمنى بهزيمة منكرة أمام المقاومين الفلسطينيين الذين أجبروا جنوده على الفرار من أمامه بالقرب من معبر كيسوفيم الحدودي في شهر رمضان المبارك عام ١٤٣٣هـ ، و الثانية عام ٢٠١٤م عندما حطموا أسطورة القبة الحديدية التي أنشئت في تل أبيب عام ٢٠١٣م عندما عجزت عن صد صواريخهم المحلية الصنع بإمكانيات متواضعة و التي وصل مداها إلى ما يفوق ٧٠ مترا و أصابت بيوتا في مدن حيفا و تل أبيب و القدس الغربية بمن فيها منزل رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو و دحروا قواتهم عند حدود القطاع أسرين العديد من جنودهم و قادتهم العسكريين بشكل أذهل العالم شرقا و غربا رغم الدمار الشديد الذي لحق بمدينة غزة و ضواحيها مخلفا العديد من الشهداء و القتلى في صفوف المدنيين الأبرياء ، و آخر هذه الآمال التي زرعت في أنفسنا الثقة الوحدة الوطنية بين الفلسطينيين و التي توجت أخيرا بإتفاقية المصالحة بين حركتي فتح و حماس المنعقدة في العاصمة رام الله و تمخضت عنها

حكومة وفاق وطني ألغت بموجبها حكومة إسماعيل هنية وضمت في صفوفها كافة الفصائل السياسية في تشكيلتها النهائية برئاسة الدكتور رامي الحمد الله بعد ثمانية سنوات من القطيعة و المناكفات السياسية بين الجميع التي ظلت صامدة و قوية متينة الأركان حتى تلك اللحظة في وجه رياح التفرقة و الخلافات الحزبية التي بدأت تطفو على السطح إثر إختطاف ثلاثة مستوطنين في الخليل بشهر يونيو و تفجير مقرات حركة فتح في غزة خلال الذكرى السنوية لرحيل مؤسسها ياسر عرفات في سبتمبر الماضي ، و في مسك الختام علينا ألا ننسى مقاومة الأسرى الفلسطينيين في السجون الإسرائيلية و الذين نالوا حريتهم بصمودهم البطولي عبر معركة الأمعاء الفارغة في شهر مايو و إنضمام فلسطين إلى المحكمة الجنائية الدولية بقرار من الرئيس أبو مازن الذي قدم للأخيرة رزمة من الدعاوى القضائية ضد إسرائيل و قادتها السياسيين و العسكريين تم قبولها جميعا ردا على رفض مجلس الأمن طلبه بإنهاء الإحتلال في عامين على الرغم من أمريكا لم تستخدم حق النقض الفيتو في هذه الجلسة المنعقدة في ديسمبر الماضي ، لتبقى فلسطين هي نبع الأمل الصافي لكل عربي و مسلم يمده بالعزم و التصميم في مواجهة أحزانه و جراحه التي لم تندمل بعد عبر الزمن .

محمد المتوكل .... المثقف الملتزم

ما إن سمعت بخبر إغتيال د/ محمد عبدالملك المتوكل بالقرب من المعهد الوطني للعلوم الإدارية في نوفمبر عام ٢٠١٤م حتى إنتابني شعور هائل من الغضب نحو شعبي المتخلف الغبي الذي يأكل أبناءه دون رحمة حينما تفرجوا عليه و هو يقتل من قبل مجهولان إستخدما دراجتهما النارية للفرار كما جرت العادة في مسلسل الإغتيالات الدائر في صنعاء و بقية المحافظات الأخرى منذ عام ٢٠٠٣م ، و الغريب أنها حدثت تحت سيطرة الحوثيين الشديدة للمدينة منذ ٢١ سبتمبر من العام الجاري و كأنهم خشب مسندة لا حراك فيها ، ليشيعوا جنازته بكثافة عارمة رفضا للعنف و الإرهاب كما هي عادتهم يقتلون القتيل و يمشون وراء جنازته سيما و أنهم قتلوه حيا و همشوه تماما خلال فترة الرئيس المخلوع علي عبدالله صالح و أنكروا وجوده و حاربوا أفكاره التنويرية حربا شعواء .

سأتحدث عن فكر الأكاديمي الراحل و آرائه السياسية و الإجتماعية و ليس عن جريمة إغتياله لأن الأولى حتما ستقودنا إلى الدوافع الحقيقية لقتله عمدا في إحدى شوارع العاصمة الفرعية التي تعج بالقذارة و حثالة المجتمع بهذه الطريقة الحقيرة التي لا تليق بمكانته كأستاذ اكاديمي رفيع المقام من الرعيل الأول لأعضاء هيئة التدريس بجامعة صنعاء عام ١٩٨٤م ، فالدكتور محمد عبدالملك المتوكل المولود بمحافظة حجة المقر الأساسي لآل المتوكل و الوجيه في الأول من يناير عام ١٩٤٢م و

الحاصل على بكالوريوس صحافة من جامعة القاهرة عام ١٩٨٣م و الدكتوراة من كلية الإعلام بنفس الجامعة المذكورة سلفا عام ١٩٨٤م دخل معترك السياسة في اليمن الشمالي خاصة و اليمن الموحد عامة منذ نعومة أظافره عندما طارده الثوار و عائلته بعد إعدام و محاكمة ظالمة من قبل المتطرفين منهم لوالده عبدالملك المتوكل عامل الإمام يحيى في حجة و الذي إستمر في منصبه حتى قيام الثورة في ال ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م بتهمة أنه من الملكيين علنا و من السلالة الهاشمية سرا قبل أن ينقذه رئيس الجمهورية السابق عبدالله السلال (١٩٦٢ – ١٩٦٧م) و يوقف هذه المحاكمات الهزلية و الإنتقامية بقرار جمهوري باعتبارها اساءة كبيرة لثورة ٢٦ سبتمبر و مبادئها النبيلة ليبدأ منذ تلك اللحظة الخوص في أغوار السياسة و مجاهلها داخل وطنه أولا ثم شعبه ثانيا و تحديدا بعد إنقلاب ٥ نوفمبر عام ١٩٦٧م و التي أطاحت بالرئيس السلال و الذي لازال محمد المتوكل يقدره و يكن له الإحترام كثوري شريف ناضل بكل ما يملك من أجل إنتصار الثورة السبتمبرية و محاولة تنقيتها من الإنتهازيين المنتفعين المستغلين لها و الذين أضحوا إثر الإنقلاب المذكور سلفا هم قادة البلاد و حكامها يسيرونها كيفما شأوا و على رأسهم رئيس مجلس الشورى السابق الشيخ عبدالله بن حسين الاحمر .

فقد تولى د/ محمد المتوكل خلال عهد النوفمبريين الذي بات واحدا منهم العديد من الوظائف و المناصب أولها دبلوماسي في الملحقية الثقافية بسفارة اليمن الشمالي بجمهورية مصر العربية فمدير لقطاع الصحافة بوزارة الإعلام عام ١٩٦٨م ثم ينزل إلى منصب مدير العلاقات العامة بنفس الوزارة عام ١٩٦٩م و بعد ذلك رئيسا لتحرير

صحيفة الثورة و رئيس للمسرح اليمني للتمثيل و جمعية الفنون معا عام ١٩٧٢م و عضو سكرتارية مجلس الشورى عام ١٩٧٣م و جلها في مجال إختصاصه ألا و هو الإعلام و الصحافة قبل أن يدرسها في الجامعة ، إلا أنها لم تشغله عن الأوضاع السياسية في بلاده و التي كشفت له شيئا فشيئا بأن المجتمع لازال أسيرا لرواسب الماضي و لاسيما الثقافة الإجتماعية التقليدية المتخلفة التي رسخها النظام الإمامي في عقول أفراده لعقود من الزمن و التي ظل متمسكا بها إلى حد الجنون ، و إكتشف أيضا أن المؤسسات الإجتماعية التقليدية و تحديدا المؤسستين القبلية و المذهبية اللتان تديران الدولة بعد قيام الثورة السبتمبرية هما نفسهما اللتان تديران النظام الإمامي من قبل و بنفس العقلية الهمجية المتخلفة البعيدة عن روح الولاء الوطني لليمن و الذي ساهم في سيطرة هذه المؤسسات على مفاصل الدولة العسكرية و المدنية عدم إخلاص معظم ضباط الثورة لثورتهم و وطنهم لصالح ولاءاتهم القبلية و المذهبية و المناطقية ، و هذا الذي دفعه إلى الإهتمام بالإعلام و الثقافة لنشر الوعي الوطني و الثوري لدى الجماهير الشعبية قبل المثقفة عبر إستخدام المسرح و الصحافة و الإذاعة و دعم صناعة الطباعة و النشر و دعم أسعار الكتب لتصبح في متناول الجميع و بأساليب مبتكرة قبل أن يضيق النوفمبريين الحصار على هذا المشروع الطموح أواخر عهدهم تحت مبرر الدين و العادات و التقاليد و محاربة الشيوعية ...... الخ .

النبراس
للطباعة و النشر

صنعاء